

إعدام الشهيد أحمد زبانة جريمة ضد الإنسانية

أ.ناير مختار

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

-تمهيد

ولد البطل أحمد زبانة سنة 1926 بالقصر (جنين مسكين) في منطقة زهانة التي تحمل اسمه وعرف باسم "أحمد زبانة" نسبة إلى الزعيم المكسيكي زبانة (Emiliano Zabata)، ويعرف كذلك باسم "سي حميدة" ونشأ في أسرة متواضعة من ثمانية أطفال وهو الرابع في ترتيب هذه الأسرة، انتقلت عائلته إلى مدينة وهران بشارع إسطنبولي بن عيسى (حي سيدي بلال) بمدينة وهران. وكان والده يعمل بمهنة بسيطة في مخزن الحبوب بالمرسى (وهران).

التحق زبانة بالمدرسة الابتدائية وتحصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية كما انخرط في المدرسة التقليدية ودرس القرآن، ثم انضم إلى الكشافة الإسلامية حيث تشبع بالروح الوطنية والدينية، ثم اضطر إلى مغادرة مقاعد الدراسة ليزاول مهنة حرة حيث تعلم حرفة التلحيم عندما التحق بالمركز المهني سنة 1949.

1-التكوين السياسي الوطني للزعيم أحمد زبانة:

انخرط ضمن صفوف حركة انتصار إلى الحريات الديمقراطية (MTLD) التي كانت تحت زعامة مصالي الحاج بن أحمد ثم انضم إلى المنظمة السرية (L'OS).

وقد لعب زبانة دورا بارزا في نشر الثقافة السياسية والوعي والنضال بين أقرانه و صفوف المناضلين لأنه كان ذا شخصية ثاقبة النظروذو أبعاد، وبعد أن أبان عن قدراته الكبيرة ومقدرته في الإقناع والفتنة، عيّن زبانة مسؤولا على المنطقة الرابعة بالولاية الخامسة التاريخية واتسم بالعمل الجاد

والتواضع رغم مسؤولياته الكبرى؛ إذ شارك في عملية بريد وهران الشهيرة سنة 1950م.

مع هذه الأعمال والنشاطات المناوئة للسلطة الاستعمارية تعرض للاعتقال في مارس 1951م، وقُدِّم للمحاكمة وحُكِّم عليه بالسجن لمدة 03 سنوات، حيث أطلق سراحه في شهر أوت 1953م، وأثناء مكوثه بالسجن توسعت دائرة ثقافته السياسية ونضج وعيه بفضل البحث والمطالعة، شأنه في ذلك شأن كل الزعماء الثوريين المسجونين.

نفي زبانة إلى مستغانم، لكنه قام باتصالات حثيثة مع مناضلين من مسؤولي المنطقة الغربية (للولاية الخامسة) من مدينة معسكر و"كريشتل" والقصر "جنين مسكين" وزهانة، وقد عين بمنطقة زهانة من قبل المسؤول المجاهد محمد العربي بن مهيدي بعد انحلال اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA) وتكوين خلايا ثورية بمحور (وهران-زهانة-الظهرة وسيدي علي) بتاريخ 05 جويلية 1954. ورغم الإقامة الجبرية المفروضة عليه، كان يقوم بزيارات عائلية لأسرته.

وفي 15 أوت سنة 1954 عقد اجتماع في زهانة بحضور زبانة وجماعة المنطقة وذلك تحت رئاسة عبد المالك رمضان حيث تعاهدوا على المصحف الشريف بالوفاء والإخلاص للجزائر والثورة.

كانت تعقد اجتماعات سرية دورية لتوعية المناضلين الثوريين، حيث انطلقت تدريبات عسكرية تحت مسؤولية وإشراف بن عبد المالك رمضان وأحمد زبانة.

2- دور زبانة في تفجير الثورة

في صبيحة 08 نوفمبر 1954م كان أحمد زبانة متمركزا بغار بوجليدة رفقة عشرة مجاهدين حيث اشتبكوا مع العد والفرنسي المدجج بالسلح فأصيب زبانة برصاصتين واحدة في ذراعه الأيسر والأخرى في رجله اليسرى، وأستشهد أثناء الاشتباك "براهي عبد القادر" كما أصيب "فتاح عبد الله" بإصابة

خطيرة واستمر الاشتباك من الفجر إلى غاية الصباح الموالي. وفي 09 نوفمبر 1954م ألقت القوات الاستعمارية القبض على أحمد زبانة حيث حول إلى سجن بربروس (سركاجي) بالعاصمة لبقى حبيس زنزنته رقم 2208 إلى غاية فجر 19 جوان 1956م موعد تنفيذ حكم إعدامه بالمقصلة.

ويعتبر كل من "أحمد زبانة" والشهيد ابن علا وحمو بوتليليس وعبد المالك رمضان من أوائل الذين فجروا الثورة التحريرية بوهران وضواحيها.

والملفت للنظر أن زبانة صلى ركعتين قبل إعدامه فلم تفلح المقصلة في المرة الأولى لفصل رأسه عن جسده إلا بعد محاولتين، مما اضطر السلطات بعد ذلك إلى عدم ترك المجاهدين المسجونين من أداء الصلاة قبل موعد الإعدام بالمقصلة.

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن القانون الذي سنته فرنسا في شهر فبراير 2005 والمجد للاستعمار يتنافى والقوانين الدولية التي تمنع إعدام سجناء الحرب وفق اتفاقيات جنيف الرابعة لسنة 1949م.

3- خاتمة

إن ضرورة إصدار البرلمان الجزائري لمرسوم أو قانون لتجريم الاستعمار الفرنسي وممارساته السابقة وتقديم المؤسسات الرسمية الفرنسية لاعتذار رسمي وصريح للجزائر واجب لا مناص منه مثل ما قامت به إيطاليا الرسمية وتقدمها باعتذار رسمي عن الممارسات السابقة الفاشية للاستعمار الإيطالي لليبيا في عهد الرئيس الراحل معمر القذافي.

أما إعدام "زبانة" فيعتبر هو الآخر جريمة ضد الإنسانية فمحكمة لاهاي والتي أقرت محاكمة مجرمي الحرب والسفاحين والقادة العسكريين على غرار ما قام به الجنرال بليسي (Pélissier) سابقا في محرقة "الفراشيح" في جوان 1845 وجرائم أخرى اقترفتها فرنسا الرسمية من سنة 1830 إلى غاية 1962م.

فالمطالبة باعتراف فرنسا بجرائمها شرط يطالب به الشعب الجزائري والرأي العام باستمرار قبل الهيئات الرسمية الجزائرية.

فمفاهيم الاستعمار والجرائم المبرمجة منهجيا في اللوائح والمقررات المدرسية الرسمية والعنصرية اتجاه كل ما هو جزائري إلا دليل قاطع على عقدة التاريخ لدى بعض الأوساط بفرنسا والذي للأسف مازال قائما لحد الآن.

ولا بد حاليا من فتح مشاريع بحث ومخابر للدراسات يساهم داخلها كلا من المؤرخين والنخب المثقفة والمجاهدين، تكون ورشة تاريخية كبرى لدراسة جرائم الاستعمار الفرنسي طيلة قرن وربع القرن.